المحاضرة 8

تابع مصادر الثقافة وإشكالية القيم والتراث الشعبي

ثالثا – العادات والأعراف

تناولنا في المحاضرة السابقة بعض مصادر الثقافة كالدين والقيم وفي هذه المحاضرة نستكمل باقي العناصر كالعادات والأعراف والتقاليد والشعائر والطقوس والتراث الشعبي

ثالثا – العادات والأعراف: من بين العناصر الثقافية تبدو العادات الأكثر عمومية ، فهي بطبيعتها استجابة لحاجات ثابتة نسبيا ومتغيرة تبعا لذلك ، لأنها تستجيب في الزمان والمكان لحاجة اجتماعية . فإذا كان الطعام حاجة اجتماعية ثابتة ، فان عادة تحضير الطعام وكيفية صنعه وطريقة تقديمه وتناوله خاضعة جميعها لمقولة الزمان والمكان . فالحاجة هنا ثابتة ، أما عادة إشباع هذه الحاجة فهي متغيرة .

تنقسم العادات التي يكتسبها الفرد إلي عادات فردية وأخري جماعية :

1- العادات الفردية : وهي ظاهرة شخصية يمكن أن تتكون وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع . ويكاد يكون الإنسان مجموع عادات تمشي علي الأرض ، بل إن قيمته تعتمد في بعض الأحيان علي عاداته فطريقة لبسه ونظافته وكلامه ومشيه وأكله وشربه....الخ كلها عادات فردية تسهم في نجاح المرء وانسجامه في الحياة . والعادات الفردية لا تستمر إلا لأنها تقوم بوظيفة فهي تسهل العمل المعتاد وتجعل تكراره سهلا ، وهي أيضا تؤدي إلي قيام الإنسان بأعماله في زمن أقل وبتركيز أقل .

2- **العادات الجماعية :** إذا نشأت عادة تبعا لظروف مشتركة في مجتمع معين ومارسها عدد كبير ، فمن الممكن أن تصبح عادة جماعية . أنها مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها ، وتمثل ضرورة اجتماعية وتستمد قوتها من هذه الضرورة .

بعض العادات مفيد للحياة الاجتماعية ويؤدي إلي تعزيز وحدة المجتمع وتقوية الروابط بين أفراده ، مثل آداب السلوك العام وآداب الحديث والمائدة وصلات ذوي القربى . وبعضها سلبي وقد يشيع الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد مثل العادات الخرافية وتعاطي الخمور والمخدرات .

تميل العادات الجماعية إلي الجمود وتقف حائلا أمام التجديد ويعتبر البعض هذه الخاصية من عوامل الاستقرار الاجتماعي ، ومع ذلك فالعادات الجماعية قابلة للتطور والخروج عن قوالبها الجامدة والقديمة. فقد انتقلت الأشكال الاجتماعية من البساطة إلي التعقيد مما أدي إلي اختفاء العادات الجماعية القديمة ونشوء عادات فردية بديلة عنها .

الأعراف : يعرف **"سمنر"** الأعراف بأنها تلك السنن الاجتماعية التي تدل علي المعني الشائع للعادات والتقاليد والمعتقدات والأفكار والقوانين وما شابه وبخاصة عندما تحوي حكما . إنها تحوي جانبا كبيرا لما يطلق عليه " الصواب" أو " الخطأ" . فالأعراف يمكن النظر إليها بأنها قوانين اجتماعية غير مكتوبة لكن متعارف عليها . ويتكون العرف أساسا في ضمير الجماعة بطريقة لا شعورية وتدريجية .

الفرق بين العادة الجمعية والعرف هو فرق تكويني فلكي يتكون العرف لا بد من توافر عاملين : **الأول** مادي يتمثل بعادة قديمة وغير مخالفة للنظام العام . **والثاني** معنوي ويتمثل بأن يشعر الناس بضرورة احترام هذا العرف وبأنه يوجد جزاء يقع عليهم إذا خالفوها.

رابعا – التقاليد والشعائر والطقوس

أما العادة فلا يلزم لنشوئها إلا توفر العامل المادي وهم يحترمونها بالتعود. وهكذا فالعادة عرف ناقص إذ يعوزها لتصبح عرفا أن يشعر الناس بضرورة احترامها ، كذلك تختلف العادة عن العرف في إن الأخير قانون يطبق علي الناس سواء رغبوا أم لم يرغبوا ، أما العادة فهي ليست قانون وهي تلزم الناس بذاتها وإنما تطبق عليهم إذا قصدوا إتباع حكمها **وبذلك يكون كل عرف عادة ولكن ليس كل عادة عرفا .**

رابعا التقاليد والشعائر والطقوس : تعرف **التقاليد** بأنها عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة أو بيئة محلية محدودة النطاق ، وهي تنشأ من الرضي والاتفاق الجمعي علي إجراءات وأوضاع معينة خاصة بالمجتمع المحدود الذي تنشأ فيه . أما المظهر الغالب**للشعائر والطقوس** ، أنها من طبيعة دينية وهي تنطوي في جانب منها علي مجموعة من المحرمات المقدسة المعروفة باسم " **التابو**" وهي تشير الي مجموعة من الأمور والأفعال والمواقف التي يجب علي الأفراد القيام بها وبخاصة أنها تستند الي الجزاء الديني والردع الخلقي .

خامسا التراث الشعبي

ويقصد بالشعائر والطقوس الدينية مجموعة الأفعال المرعية والممارسات التي تنظمها قواعد نظامية من طبيعة مقدسة أو موقرة ذات سلطة قهرية ملزمة ضابطة لتتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات ذات وظيفة محددة . هي إذن قواعد ضابطة للمناسبات لا تهدف الي تحقيق منفعة وإنما هي أدوات تنظيمية من طبيعة الحياة الاجتماعية تعمل علي تثبيت قواعد الحياة الجمعية لأنها تتكرر بصفة منتظمة .

يتجلي التراث الشعبي في عناصر كثيرة منها الفولكلور والموروث الثقافي والمعتقدات الشائعة من خرافات وأساطير . ولفظ "تراث" يعني بشكل عام العناصر الثقافية التي تلقاها جيل عن جيل .

- الفولكلور : معني كلمة فولكلور حرفيا هو معارف الناس أو حكمة الشعب ، وهو استخدام ليدل علي العادات والمعتقدات والآثار الشعبية القديمة المأثورة . وقد اختلفت مدارس الفولكلور حول تحديد موضوعه فمنها من قصره علي الأدب الشعبي وبعضها حدده في الحكايات الخرافية والأساطير وبعضها الأخر ضم إليه طرائق الحياةالشعبية .

ويمكن القول إن المتخصصين بالفولكلور قد حدد ميدانه أخيرا في تلك الفنون التي تمتاز بعراقتها وانتقالها عن طريق التقليد والمحاكاة أو النقل الشفهي وهي غالبا ما تكون مجهولة المؤلف.

يتضمن التراث الشعبي اعتقادات متنوعة منها ما يلي :

- الاعتقاد بالكائنات العلوية والسفلية كالجن والعفاريت وأرواح الموتى .
- الاعتقادات الخاصة بالتشاؤم أو بالتفاؤل من أشياء أو أفعال أو التوقي مما يجلب النحس " الأحجبة" .
- ماله علاقة باستقراء الغيب والكشف عن المستقبل بقراءة الكف وما يطلق عليه " ضرب الودع ".
- ما يتضمن الاعتقاد في السحر والتعزيم .
- الاعتقاد بالأولياء والوسطاء والإيمان بالهبات والقرابين .
- العادات المرتبطة بدورة الحياة والتي تدور حول الولادة والسبوع والختان والخطبة والمرض والموت.
- منها ما يتعلق بالحكايات والأدب الشعبي كالسير الشعرية والنثرية والقصص والأسطورة والموال والأغاني
- ومنها ما يتعلق بالمواسم الزراعية أو الزمنية أو الأعياد والموالد

خصائص الثقافة الشعبية : يمكن أن نوجز أهم الخصائص التي تتسم بها الثقافة الشعبية فيما يلي

1- الإلزام : مما لاشك فيه أن نفوذ الثقافة الشفهية كبير وهو يصل الي حد الإلزام . وقد أشار **اميل دوركايم** الي خاصية القهر والإلزام فيما أسماه بالعقل أو " الضمير الجمعي" الذي جعل منه " فكرة قاهرة" متحققة في ذاتها وخارجة عن إرادة الأفراد .

2- التلقائية : وهي في أساسها تلقائية غير واعية لأن أساسها المحاولة العشوائية في سد الحاجات لظروف جديدة .

3- الجاذبية : تبقي الثقافة الشعبية مقبولة ومرغوبة علي الرغم مما فيها من إلزام وقهر ، فهي تنطوي علي ما تواضع عليه أفراد الجماعة من أفعال سلوكية .

وأخيرا يمكننا القول إن للثقافة الشعبية وظائف متعددة منها الوظيفة الاقتصادية والتوجيهية والجمالية والتنبؤية ، لكن أهمها بلا شك وظيفة الضبط الاجتماعي الطبيعية الضرورية وإشباعها والتي تتحول مع الوقت الي عادات فردية وجماعية .**4- غير مدونة :** فالمجتمع لا يتصدي لبناء ثقافته الشعبية وعاداته وتقاليده بعمل شعوري واع. لذلك هو لا يدونها بين أخبار تاريخه ، وإذا أردنا الوقوف عليها فهي في الذاكرة الجماعية محفوظة ويتم تناقلها بدقة متناهية .

5- الاستمرار والثبات : تبدو هذه الخاصية واضحة بانتقال تلك الثقافة من جيل الي جيل دون تغيير أو تحريف في الأسلوب العام ، مع قابلية نسبية للتعديل تبعا

المحاضرة 9

ديناميات التغير الثقافي

أولا – مفهوم التغير الاجتماعي والثقافي

يعتبر مصطلح التغير الاجتماعي مصطلحا حديثا نسبيا وغالبا ما يختلط مع مصطلحات أخري مثل التطور والتقدم والنمو والتنمية ... وسوف نحاول بيان الفارق بين هذه المصطلحات ومفهوم التغير الاجتماعي والثقافي .

التغير والتطور : كثيرا ما استخدم مفهوم التغير الاجتماعي ومفهوم التطور الاجتماعي كما لو كانا يدلان علي المعني نفسه والواقع إن مفهوم التطور يشير الي الحالة التي تنتقل من طور لأخر كانتقال المجتمعات من طور البداوة الي طور التحضر ، ولقد شهد هذا المفهوم انتشارا واسعا مع ظهور نظرية**داروين** في منتصف القرن التاسع عشر . أما مفهوم التغير فهو يشير الي تلك التحولات والتبدلات التي تحدث في البناء الاجتماعي .

التغير والتقدم : يعبر مفهوم التقدم عن عملية ديناميكية تتحرك بالمجتمع نحو غاية معينة والواقع أن مفهوم التقدم يختلف عن مفهوم التغير ذلك أن مفهوم التقدم يختلف من مجتمع لأخر بحسب ثقافة المجتمع ،كما أن فكرة التقدم نفسها قد تتغير بتبدل الظروف والأمكنة.

فالتقدم في مجتمع ما قد يكون تخلفا في مفهوم مجتمع أخر . والواقع إن استخدام مفهوم التقدم يواجه صعوبات منهجية حيث يحمل معني خط سير المجتمع نحو الأمام ، أي أنه يسير في خط صاعد ، في حين إن مفهوم التغير يتضمن إمكانية التقدم أو التخلف .

التغير والنمو : النمو عملية تلقائية وهو يقترب من مفهوم التطور نظريا ، إلا أنه لا يتطابق معه . والنمو الاجتماعي أكثر تعقيدا من النمو العضوي . ومفهوم النمو يشير الي الزيادة الثابتة نسبيا والمستمرة في جانب واحد من جوانب الحياة ، أما التغير فيشير الي التحول في البناء الاجتماعي والأدوار الاجتماعية ، وقد يكون هذا التحول ايجابيا وقد يكون سلبيا كما قد يكون النمو بطيئا في العادة ، أما التغير الاجتماعي فيكون في الغالب سريعا ويغلب علي الأول التغير الكمي أما الثاني فيغلب عليه التغير الكيفي .

التغير والتنمية : تعني التنمية مجمل الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم لتحقيق التعبئة المثلي لجهود الأفراد ، والتنسيق المتكامل بين الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة في وسط اجتماعي معين ، بقصد تحقيق أكبر قدر ممكن من الرفاهية الاجتماعية بأسرع وقت وبما يتجاوز معدل النمو الطبيعي . فالتنمية عملية إرادية مخططة ومفهومها أقرب الي مفهوم التغير إذا ما قورن بمفاهيم التقدم والنمو والتطور وهو يختلف عنه في المحصلة النهائية التي تتضمن بعدا ايجابيا بشكل دائم في حين إن التغير الاجتماعي قد يكون تغيرا ايجابيا وقد يكون نكوصا سلبيا .

بقي أن نطرح سؤالا عن علاقة التغير الثقافي بالتغير الاجتماعي ؟ وللإجابة عن ذلك التساؤل لابد أن نعرف كلا المفهومين :

فالتغير الثقافي هو ما يطرأ من تبدل في جانبي الثقافة سواء أكان ماديا أم معنويا . أنه تغير يحدث في جميع نواحي المجتمع "اللغة ، الفن، العادات والتقاليد،التكنولوجيا... " .

أما التغير الاجتماعي فيشير الي تلك التبدلات والتحولات التي تحدث في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة

ثانيا – العوامل المؤثرة في حدوث التغير

وفي ضوء ما سبق يتبين إن التغير الاجتماعي جزء من التغير الثقافي ، فكل تغير اجتماعي يعد تغيرا ثقافيا وليست جميع التغيرات الثقافية تقع في دائرة التغير الاجتماعي

العوامل المؤثرة في حدوث التغير :

هناك العديد من العوامل المساعدة أو المسببة للتغير الاجتماعي والثقافي منها ما يلي :

1- **العوامل الايكولوجية والطبيعية :** تتمثل بمكونات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان وتتضمن الموقع الجغرافي والتضاريس والتربة والمناخ والمواد الأولية . وعلي الرغم من إن التغيرات في البيئة الطبيعة نادرة الحدوث ، إلا أن تأثيرها عندما تحدث يكون عظيما في حياة المجتمع .

وقد أهتم **ابن خلدون** في مقدمته ببيان أثر البيئة في العمران البشري ، وأكد تأثير المناخ في طبيعة الظواهر الاجتماعية والنفسية للسكان .كما رأي **مونتسكيو** في كتابه روح القوانين أن محرك التاريخ ومصدر الشرائع يتحدد في المناخ والامتداد الجغرافي .

وقدم **ديمولان** إسهاما كبيرا في دعم الاتجاه الحتمي الجغرافي ، بين فيه تأثير العناصر الطبيعية في حياة البشر .

والتغيرات البيئية قد تكون طبيعية لا دخل للإنسان فيها مثل حدوث زلزال أو بركان أو فيضانات ... وقد تكون من فعل الإنسان مثل شق قناة أو بناء سد أو إزالة غابة بأكملها .

وجدير بالذكر إن الإنسان في الوقت المعاصر لا يخضع للعوامل الطبيعية خضوعا تاما بحيث تتحكم في حياته ومصيره ، فقد استطاع بالعلم أن يطوع البيئة ويستخدم معطياتها لصالحه، ولم تعد علاقته بهذه البيئة ذات طابع حتمي .

العوامل السكانية : يعتبر حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم من العوامل المهمة في إحداث التغير الاجتماعي ، فالعوامل السكانية تلعب دورا ملحوظا في حياة المجتمعات وفي تغيرها كذلك ، فالمجتمع الذي يعاني من ضغط سكاني غير المجتمع الذي يعاني من نقص في عدد سكانه ، والمجتمع الذي تتناسب موارده مع احتياجات سكانه أو تزيد غير المجتمع الذي لا تستطيع موارده أن تفي بالاحتياجات الأساسية لسكانه .

ومن العلماء الذين بالغوا في الاتجاه السكاني وتأثيره**مالتوس** الذي أعتبر الزيادة السكانية معرقلة لتقدم المجتمعات .

3- **العوامل الإيديولوجية والثقافية :** تعتبر الإيديولوجية قوة فكرية تعمل علي تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقا لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة وتساندها عادة تبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية أو أحكام عقائدية أو أفكار تقليدية . فهي حركة فكرية هادفة لها فاعلية ايجابية في البيئة الاجتماعية وفي العلاقات الاجتماعية وتنعكس روحها علي التنشئة الاجتماعية بما يحدث تغييرا في القيم والعمليات الاجتماعية المختلفة والعوامل الإيديولوجية غير مقتصرة علي النواحي السياسية ،بل تتعدي ذلك الي النواحي الدينية والعسكرية والاجتماعية والفكرية .. وهذه كلها تتأثر من جراء التغير .

وهناك كثير من الأفكار التي تلعب دورا هاما في إحداث التغير والتي تتعلق بالحرية والإنسان وحقه في الحياة ، وهذه بانتشارها تلاقي قبولا ويكون لها الأثر في إحداث التغير الثقافي والاجتماعي .

وقد استقطبت الايدولوجيا ودورها في التغير الاجتماعي كتابات كثيرة منها ما كتبه **كارل مانهايم** مطلع الخمسينيات ، وما كتبه **ماكس فيبر** حيث كان يري أن هناك فترات تحول تمر بالمجتمعات بفضل وجود عباقرة وأبطال ،أو انبثاق فئة من الحكماء والأنبياء والمرشدين أو العلماء ..

4 –**العوامل التكنولوجية :** ويقصد بها كافة العوامل التي تكون من ابتكار الإنسان بهدف إشباع حاجاته المختلفة ، فاختراع أو اكتشاف أية وسيلة من وسائل الإشباع الجديدة لها أثرها الكبير علي التغير الثقافي والاجتماعي . فقد أدي اكتشاف البخار والكهرباء مثلا الي انتقال الصناعة من المجال اليدوي الي المجال الآلي وما صاحب ذلك من حدوث تغيرات اجتماعية كثيرة بالنسبة لقوانين العمل والعلاقات الاجتماعية .

وقد شهدت الإنسانية في العصور الحديثة تغيرات تكنولوجية بعيدة المدى تتمثل في المخترعات التي أحدثت تغيرات جذرية في ميادين الفلك والطبيعة والكيمياء والطب ... وانعكست هذه المخترعات في تطوير الوسائل المستخدمة في الحياة بجوانبها المختلفة . مما كان له أكبر الأثر في السير بالتغير الاجتماعي الي أبعد مدي وأوسع نطاق .

5 – العوامل الاقتصادية : كانت النظرية الماركسية أشهر النظريات التي فسرت التغير في المجتمع بردها الي عوامل اقتصادية . إن التفسير الاقتصادي للتغير الاجتماعي يعتبر القوي الاقتصادية" كالفقر والبطالة والدورة الاقتصادية وفترات الرخاء والكساد وعدالة التوزيع أو عدمها ... " هي المسئولة الي حد كبير عن التطورات والإحداث التاريخية التي يمر بها المجتمع الإنساني .

في **الخلاصة** لا يمكن القول إن عوامل التغير الاجتماعي والثقافي يمكن تعليلها بعامل واحد فالواقع يؤكد تساند وتفاعل عدة عوامل لإحداث التغير .